

## سورة «الأعلى»

مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَدَنِيَّةٌ<sup>(١)</sup>. وَهِيَ تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

يُسْتَحَبُّ لِلْقَارِئِ إِذَا قَرَأَ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أَنْ يَقُولَ عَقِبَهُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، عَلَى مَا يَأْتِي.

وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكًا يَقَالُ لَهُ: حَزَقِيائِيلُ، لَهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ جَنَاحٍ، مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، فَخَطَرَ لَهُ خَاطِرٌ: هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُبْصِرَ الْعَرْشَ جَمِيعَهُ؟ فزَادَهُ اللَّهُ أَجْنَحَةً مِثْلَهَا، فَكَانَ لَهُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ، مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ. ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلَكُ، أَنْ طِرْ، فَطَارَ مَقْدَارَ عَشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَلَمْ يَبْلُغْ قَائِمَةً<sup>(٢)</sup> مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ. ثُمَّ ضَاعَفَ اللَّهُ فِي الْأَجْنَحَةِ وَالْقُوَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَطِيرَ، فَطَارَ مَقْدَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يَصِلْ أَيْضًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَيُّهَا الْمَلَكُ، لَوْ طِرْتَ إِلَى نَفْخِ الصُّورِ مَعَ أَجْنِحَتِكَ وَقُوَّتِكَ لَمْ تَبْلُغْ سَاقَ عَرْشِي. فَقَالَ الْمَلَكُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ». ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «كِتَابِ الْعَرَائِسِ» لَهُ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ: مَعْنَى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أَي: عَظِّمْ رَبِّكَ الْأَعْلَى. وَالِاسْمُ صِلَةٌ قُصِدَ بِهَا تَعْظِيمُ الْمَسْمُومِ؛ كَمَا قَالَ لَبِيدُ:

(١) حكاه عنه النقاش، كما في المحرر الوجيز ٥/٤٦٨، قال ابن عطية: وهو ضعيف، وإنما دعا إليه قول من قال: إن ذكر صلاة العيد فيها.

(٢) في (م): رأس قائمة.

(٣) ص ١٦.

إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السلامِ عليكما<sup>(١)</sup>

وقيل: نَزَّهَ رَبُّكَ عن السوء، وعمَّا يقولُ فيه المُلجِدون.

وذكر الطبري أن المعنى: نَزَّهَ اسمَ رَبِّكَ عن أن يسمَّى به أحدٌ سواه<sup>(٢)</sup>.

وقيل: نَزَّهَ تَسْمِيَةَ رَبِّكَ وَذِكْرَكَ إِيَّاهُ، أن تَذْكُرَهُ إِلَّا وَأَنْتَ خَاشِعٌ مُعْظَمٌ، ولِذِكْرِهِ مُحْتَرِمٌ. وجعلوا الاسمَ بمعنى التَّسْمِيَةِ<sup>(٣)</sup>، والأوَّلَى أن يكون الاسمُ هو المسمَّى. روى نافع عن ابن عمر قال: لا تَقُلْ على اسمِ الله؛ فَإِنَّ اسمَ الله هو الأعلى<sup>(٤)</sup>.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: صَلَّى بِأَمْرِ رَبِّكَ الأَعْلَى<sup>(٥)</sup>. قال: وهو أن تقول: سبحان رَبِّي الأَعْلَى. وروى عن عليٍّ ؑ وابنِ عباسٍ وابنِ عمرٍ وابنِ الزبيرٍ وأبي موسى وعبد الله بن مسعود ؑ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا افْتَتَحُوا قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّورَةِ قَالُوا: سبحان رَبِّي الأَعْلَى<sup>(٦)</sup>؛ امْتِنَالاً لِأَمْرِهِ فِي ابْتِدَائِهَا. فَيُخْتَارُ الاقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي قِرَاءَتِهِمْ، لَا أَنْ سَبَّحَانَ رَبِّي الأَعْلَى مِنَ الْقُرْآنِ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الزَّيْغِ.

وقيل: إِنَّهَا فِي قِرَاءَةِ أَبِي: «سَبَّحَانَ رَبِّي الأَعْلَى». وكان ابنُ عمرٍ يقرؤها كذلك<sup>(٧)</sup>.

وفي الحديث كان رسولُ الله إذا قرأها قال: «سَبَّحَانَ رَبِّي الأَعْلَى». قال أبو بكر

(١) وعجزه: ومن يبيك حولاً كاملاً فقد اعتذر، وهو في ديوان لبيد ص ٧٩، وسلف ١/١٥٣، والكلام من النكت والعيون ٦/٢٥١.

(٢) النكت والعيون ٦/٢٥١، وينظر تفسير الطبري ٢٤/٣١١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/٣١٠-٣١١، وتفسير البغوي ٤/٤٧٥.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/٣٨٤-٣٨٥.

(٥) تفسير البغوي ٤/٤٧٥، وذكره أبو الليث ٣/٤٦٩ عن الكلبي.

(٦) أخرج هذه الآثار ابن أبي شيبة ٢/٥٠٨-٥٠٩، والطبري ٢٤/٣٠٩-٣١٠.

(٧) النكت والعيون ٦/٢٥٢، وأخرج الطبري ٢٤/٣٠٩ من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عمر أنه كان يقرأ: «سبح اسم ربك الأعلى سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوى». قال: وهي في قراءة أبي بن كعب كذلك.

الأنباريُّ: حدَّثني محمد بنُ شَهْرِيَار، قال: حدَّثنا حسين بن الأسود، قال: حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي حَمَّاد قال: حدَّثنا عيسى بن عمر، عن أبيه، قال: قرأ عليّ بن أبي طالب ﷺ في الصلاة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فقال: سبحان ربِّي الأعلى، فلمَّا انقضت الصلاة قيل له: يا أمير المؤمنين، أتزيدُ هذا في القرآن؟ قال: ما هو؟ قالوا: سبحان ربِّي الأعلى. قال: لا، إنّما أمرنا بشيءٍ فقلُّته<sup>(١)</sup>.

وعن عقبه بن عامر الجُهَنِيّ قال: لَمَّا نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي سَجُودِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا كُلُّهُ يدلُّ على أنّ الاسم هو المسمَّى؛ لأنهم لم يقولوا: سبحان اسمِ ربِّي الأعلى.

وقيل: إنّ أوَّلَ مَنْ قال: سبحان ربي الأعلى، ميكائيلُ عليه السلام. وقال النبيُّ ﷺ لجبريل: «يا جبريلُ، أَخْبِرْنِي بِثَوَابِ مَنْ قال: سبحان ربِّي الأعلى، في صلّاته أو في غير صلّاته». فقال: «يا محمدُ، ما مِنْ مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ يقولُها في سجوده أو في غير سجوده، إلّا كانت له في ميزانه أثقلُ من العرش والكرسيِّ وجبال الدنيا، ويقول الله تعالى: صدّق عبدي، أنا فوق كلِّ شيءٍ، وليس فوقي شيءٌ، اشْهَدُوا يا ملائكتي أنّي قد غَفَرْتُ له، وأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ. فإذا مات زاره ميكائيلُ كلَّ يومٍ، فإذا كان يومُ القيامةِ حَمَلَهُ على جناحه، فأوْفَقَهُ بين يدي الله تعالى، فيقول: ياربِّ، شَفِّعْنِي فيه، فيقول: قد شَفَّعْتُكَ فيه، فاذهَبْ به إلى الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وقال الحسن: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» أي: صلِّ لربِّكَ الأعلى. وقيل: أي:

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٣٣٨ وعزه لابن الأنباري في المصاحف وللغريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤١٤)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وسلف عند تفسير الآية (٩٦) من سورة الواقعة.

(٣) أخرجه القزويني في التدوين في أخبار قزوين ٣/٢٥٧-٢٥٨ دون قوله: فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه...، وفي إسناده محمد بن الحسن النقاش المفسر، قال عنه البرقاني: كل حديث النقاش منكر. الميزان ٣/٥٢٠.

صلُّ بأسماء الله، لا كما يصلِّي المشركون بالمُكَّاءِ والتَّضْدِيَةِ.

وقيل: ارفع صوتك بذكر ربك. قال جرير:

فَبَحَّ إِلَهُهُ وَجُوهٌ تَغْلِبُ كَلِمًا      سَبَحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا تَكْبِيرًا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى<sup>(١)</sup>﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى<sup>(٢)</sup>﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى<sup>(٣)</sup>﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى<sup>(٤)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ قد تقدّم معنى التَّسْوِيَةِ في «الانفطار» وغيرها<sup>(٢)</sup>.

أي: سوّى ما خلق، فلم يكن في خلقه تشبيح<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج: أي: [خلق الإنسان سوياً. ومعنى «سوّى»] عدل قامته<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس: حسن ما خلق.

وقال الضحاك: خلق آدم فسوّى خلقه. وقيل: خلق في أصلاب الآباء، وسوّى في أرحام الأمهات. وقيل: خلق الأجساد، فسوّى الأفهام<sup>(٥)</sup>. وقيل: أي: خلق الإنسان وهيأه للتكليف.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ قرأ عليّ ؑ والسلمي والكسائي: «قدر» مخففة الدال، وشدد الباقون<sup>(٦)</sup>. وهما بمعنى واحد. أي: قدر ووفق لكل شكل<sup>(٧)</sup> شكله، «فهدى» أي:

(١) النكت والعيون ٢٥١/٦، والتاج (سج). وهو في ديوان جرير ٥٢/١ برواية:

فَبَحَّ إِلَهُهُ وَجُوهٌ تَغْلِبُ كَلِمًا      سَبَحَ الْحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلَالًا

قال محمد بن حبيب شارح الديوان: الشيخ: رفع الأيدي بالدعاء، والإهلال: رفع الصوت.

(٢) ينظر ص ١٢٣ من هذا الجزء.

(٣) أي: تخليط. اللسان (ثج).

(٤) الوسيط ٤/٤٦٩، وتفسير البغوي ٤/٤٧٥، وما بين حاصرتين منهما. وقول الزجاج في معاني القرآن ٥/٣١٥ دون قوله: ومعنى سوى...

(٥) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/٢٥٢.

(٦) السبعة ص ٦٨٠، والتيسير ص ٢٢١، ومعاني القرآن للفراء ٣/٢٥٦.

(٧) في (ظ): شيء.

أَرْشَدَ. قال مجاهد: قَدَّرَ الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَهَدَى لِلرُّشْدِ وَالضَّلَالَةِ. وعنه<sup>(١)</sup> قال: هَدَى الْإِنْسَانَ لِلسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمُرَاعِيهَا.

وقيل: قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَأَرْزَاقَهُمْ، وَهَدَاهُمْ لِمَعَاشِهِمْ إِنْ كَانُوا إِنْسَاءً، وَلِمُرَاعِيهِمْ إِنْ كَانُوا وَحْشَاءً.

وروي عن ابن عباس والسُّدِّيِّ ومقاتلٍ والكلبيِّ في قوله: «فَهَدَى»، قالوا: عَرَفَ خَلْقَهُ كَيْفَ يَأْتِي الذَّكْرُ الْأُنْثَى، كَمَا قَالَ فِي «طه»: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [الآية: ٥٠] أي: الذَّكْرَ لِلأُنْثَى.

وقال عطاء: جَعَلَ لِكُلِّ دَابَّةٍ مَا يُضْلِحُّهَا، وَهَدَاهَا لَهُ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: خَلَقَ الْمَنَافِعَ فِي الْأَشْيَاءِ، وَهَدَى الْإِنْسَانَ لَوَجْهِ اسْتِخْرَاجِهَا مِنْهَا.

وقيل «قَدَّرَ فَهَدَى»: قَدَّرَ لِكُلِّ حَيْوَانٍ مَا يُضْلِحُّهُ، فَهَدَاهُ إِلَيْهِ، وَعَرَفَهُ وَجْهَ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ. يُحَكِّي أَنَّ الْأَفْعَى إِذَا أَتَتْ عَلَيْهَا أَلْفُ سَنَةٍ عَمِيَتْ، وَقَدْ أَلْهَمَهَا اللَّهُ أَنْ مَسَحَ الْعَيْنِ بَورِقِ الرَّازِيَانِجِ الْغَضُّ يَرُدُّ إِلَيْهَا بَصَرَهَا، فربما كانت في بَرِيَّةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّيْفِ مَسِيرَةُ أَيَّامٍ، فَتَطْوِي تِلْكَ الْمَسَافَةَ عَلَى طَوْلِهَا وَعَلَى عَمَائِهَا، حَتَّى تَهْجُمَ فِي بَعْضِ الْبَسَاتِينِ عَلَى شَجَرَةِ الرَّازِيَانِجِ لَا تَخْطُئُهَا، فَتَحْكُ بِهَا عَيْنَهَا وَتَرْجِعُ بَاصِرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٣)</sup>.

وهداياتُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَا يُحَدُّ مِنْ مَصَالِحِهِ، وَمَا لَا يُخَصِّرُ مِنْ حَوَائِجِهِ، فِي أَغْذِيَتِهِ وَأَدْوِيَتِهِ، وَفِي أَبْوَابِ دُنْيَاهُ وَدِينِهِ، وَإِلْهَامَاتِ الْبِهَائِمِ وَالطَّيُورِ وَهَوَامِّ الْأَرْضِ بَابٌ وَاسِعٌ، وَشَوْطٌ بَطِينٌ<sup>(٤)</sup>، لَا يَحِيطُ بِهِ وَصْفٌ وَاصِفٍ؛ فَسَبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى.

وقال السُّدِّيُّ: قَدَّرَ مَدَّةَ الْجَنِينِ فِي الرَّجْمِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَقَلَّ وَأَكْثَرَ، ثُمَّ هَدَاهُ

(١) بعدها في (ظ): أيضاً.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٦/٧٩-٨٠، ٢٤/٣١١-٣١٢، والنكت والعيون ٦/٢٥٢، وتفسير البغوي ٤/٤٧٥، وزاد المسير ٨٨/٩.

(٣) الكشف ٤/٢٤٣، والرازيانج: نبات يعرف اليوم بالشَّمْر. معجم متن اللغة (رزن).

(٤) أي: بعيد. القاموس (بطن)، والكلام من الكشف ٤/٢٤٣.

للخروج من الرَّجْم<sup>(١)</sup>.

وقال الفراء<sup>(٢)</sup>: أي: قَدَّرْ فهدى وأضلَّ؛ فاكتفى بذِكْرِ أحدهما، كقوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ أَحْرَ﴾ [النحل: ٨١].

ويحتملُ أن يكون بمعنى: دعا إلى الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾ [الشورى: ٥٢] أي: لتدعو، وقد دعا الكلَّ إلى الإيمان. وقيل: «فهدى»، أي: دلَّهم بأفعاله على توحيدهِ، وكونهِ عالماً قادراً.

ولا خلاف أنَّ مَنْ شَدَّدَ الدالَّ مِنْ «قَدَّرَ» أنه مِنَ التقدير، كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. وَمَنْ خَفَّفَ، فيحتملُ أن يكون مِنَ التقدير فيكونان بمعنى. ويحتملُ أن يكون مِنَ القُدرة والمُلْك، أي: مَلَكَ الأشياءَ، وَهَدَى مَنْ يَشَاءُ.

قلت: وسمعتُ بعضَ أشياخي يقول: «الذي خَلَقَ فسوَّى والذي قَدَّرَ فهدى» هو تفسيرُ العلوِّ الذي يليقُ بجلالِ الله سبحانه على جميع مخلوقاته.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي: النباتَ والكلاً الأخصر. قال الشاعر:

وقد ينبتُ المرعى على دَمَنِ الثَّرى وَتَبَقَى حَزَازَاتُ النُّفوسِ كما هِيَاً<sup>(٣)</sup>  
﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ الغُثَاءُ: ما يَظْدِفُ به السيلُ على جوانبِ الوادي من الحشيش والنبات والقُماش<sup>(٤)</sup>. وكذلك الغُثَاءُ بالتحديد. والجمع: الأغشاء. قتادة: الغُثَاءُ:

(١) تفسير البغوي ٤/٤٧٥، وزاد المسير ٩/٨٨.

(٢) في معاني القرآن ٣/٢٥٦.

(٣) البيت لَزُفَرِ بن الحارث الكلابي، كما في مجالس ثعلب ص ٣٦٧، والمعاني الكبير ٢/٨٤٨، وجمهرة الأمثال ١/١٧، وديوان المعاني ٢/٢٠٠، والحماسة البصرية ١/٢٦. قال العسكري: معناه: أن الدُمْنَةُ هي الموضع الذي تترك فيه الإبل، فتبول وتبعر فيه فلا يُنْبِتُ شيئاً، فإذا أصابته السماء وسَفَّتَهُ الرياح أنبت، فيقول: إن ذلك الموضع قد نُبِتَ بعد أن لم يكن ينبت، فيتغير بالنبات، وتبقى حزازات النفوس لا تتغير.

(٤) القماش: هو ما على وجه الأرض من فئات الأشياء. القاموس (قمش).

الشيء اليابس<sup>(١)</sup>. ويقال للبقل والحشيش إذا تحطّم ويَبَسَ: غُثَاءٌ وَهَشِيمٌ. وكذلك للذي يكون حول الماء من القماش: غِثَاءٌ، كما قال:

كَأَنَّ طَمِيَّةَ الْمُجَيْمِرِ غُدُوَّةٌ      من السَّيْلِ والأَغْثَاءِ فَلَكَّةٌ مِغْرَلٌ<sup>(٢)</sup>  
وحكى أهل اللغة: غثا الوادي وجفأ<sup>(٣)</sup>. وكذلك الماء إذا علاه من الرِّبْدِ  
والقماش ما لا يُنتَفَعُ به.

والأخوى: الأسود، أي: أن النبات يَضْرِبُ إلى الحُوَّةِ من شدة الخضرة  
كالأسود. والحوَّةُ: السَّوَادُ؛ قال الأعشى:

لَمِيَاءٌ فِي شَفْتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسُ      وفي اللَّثَاتِ وفي أنيابها سَنَبٌ<sup>(٤)</sup>  
وفي «الصحيح»: والحوَّةُ: سُمرَةُ الشَّفَةِ. يقال: رجلٌ أَخْوَى، وامرأةٌ حَوَاءٌ، وقد  
حَوَيْتُ. وبعيرٌ أَخْوَى: إذا خالطَ خضرتَه سوادٌ وُصْفَرَةٌ. وتصغيرُ أَخْوَى: أَحْيُو، في لغة  
من قال: أُسَيُودُ<sup>(٥)</sup>.

ثم قيل: يجوزُ أن يكون «أَخْوَى» حالاً من «المَرَعَى»، ويكون المعنى: كأنه من

(١) أخرجه عبد الرزاق ٣٦٧/٢، والطبري ٣١٣/٢٤-٣١٤.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٢٥ برواية: من السيل والغثاء. ووقع في (ظ): كأن ذرى رأس المجيمر...، وهو موافق لرواية البيت في شرح المعلمات للنحاس ٤٨/١، وللتبريزي ص ٧٠. قال التبريزي: روى الأصمعي: كأن طمية المجيمر، والمجيمر أرض لبني فزارة، وطمية: جبل في بلادهم، يقول: قد امتلأ المجيمر، فكان الجبل في الماء فلكة مغزل؛ لِمَا جمع السيل حوله من الغثاء. ورواه الفراء: من السيل والأغثاء، جمع الغثاء وهو قليل في الممدود.

(٣) في النسخ: وانجفى، والمثبت من المعاجم، وفي الصحيح (جفأ): جفأ الوادي جفأً: إذا رمى بالقذى والرَّبْدِ

(٤) البيت ليس للأعشى كما ذكر المصنف، وإنما هو لذي الرمة، وهو في ديوانه ٣٢/١. قال أبو نصر الباهلي شارح الديوان: اللَّمَى: سُمرَةُ في الشفتين، وكذلك الحوَّةُ شبيهة باللمى تضرب إلى السواد، وكذلك اللَّعَسُ يكون بالشفتين واللثة. والشنب، قال الأصمعي: بردٌ وعدوبة في الأسنان، وغيره يقول: تمديد الأسنان ودقتها، والأول أجود.

(٥) في الصحيح (حوا).

خُضِرْتَهُ يَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَخْرَجَ الْمَرْعَى أَحْوَى، فَجَعَلَهُ غُثَاءً. يُقَالُ: قَدْ حَوِيَ النَّبْتُ؛ حَكَاهُ الْكَسَائِيُّ. وَقَالَ:

وَعَيْثُ مِنَ الْوَسْمِيِّ حُوًّا تِلَاعُهُ تَبَطَّنْتُهُ بِشَيْظَمٍ صَلَّتَانِ<sup>(١)</sup>

ويجوزُ أن يكون «أحوى» صفةً لـ «غُثَاءً». والمعنى: أنه صار كذلك بعد خضرته. قال أبو عبيدة<sup>(٢)</sup>: فجعله أسوداً من احتراقه وقدمه؛ والرَّطْبُ إِذَا يَبَسَ اسْوَدَّ. وقال عبد الرحمن بن زيد: أخرج المرعى أخضر، ثم لما يبس أسود<sup>(٣)</sup>، فصار غُثَاءً تذهبُ به الرياحُ والسيول<sup>(٤)</sup>. وهو مثَلٌ ضربه الله تعالى للكفار، لذهاب الدنيا بعد نضارتها<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سُنُقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى ۝١ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّكُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝٢﴾  
وَيُنْسِرُكَ لِلْبَشَرِ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿سُنُقْرُوكَ﴾ أي: القرآن يا محمد، فنُعَلِّمُكَ ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ أي: فتحفظ؛ رواه ابن وهب عن مالك<sup>(٦)</sup>. وهذه بُشْرَى من الله تعالى؛ بشره بأن أعطاه آيةً بيّنةً، وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه.

وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كان يتذكّر مخافة أن ينسى<sup>(٧)</sup>، ف قيل:

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٨٧. قوله: الوسمي، هو مطر الربيع الأول. والتلاع جمع التلعة، وهي مسيل الماء، أو ما اتسع من فوهة الوادي، أو القطعة المرتفعة من الأرض. والصلتان: الحديد الفؤاد من الخيل. القاموس (وسم) وتلع) و(صلت). وقال شارح الديوان: الحوة لون يضرب إلى السواد، يصف أن نبات التلاع حوُّ ناعم ريان، فخضرته تضرب إلى السواد، وقوله: تبطنته، أي: سلكت بطنه وسرت فيه. والشيزم: الطويل.

(٢) في مجاز القرآن ٢/٢٩٥.

(٣) بعدها في (م): من احتراقه.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/٣١٤.

(٥) النكت والعيون ٦/٢٥٣.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٠٧.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/٣١٥.

كَفَيْتُكَه. قال مجاهد والكلبي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريلُ بالوحي، لم يَفْرَغْ جبريلُ من آخر الآية، حتى يتكلم النبي ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت: «سُقِّرْتُكَ فلا تَنْسَى» بعد ذلك شيئاً<sup>(١)</sup>، فقد كَفَيْتُكَه.

ووجه الاستثناء على هذا، ما قاله الفراء: إلا ما شاء الله، وهو لم يشأ أن تنسى شيئاً، كقوله تعالى: ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨] ولا يشاء. ويقال في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، وإلا أن أشاء أن أمنعك، والنية على ألا يمنعه شيئاً. فعلى هذا مجاري الأيمان؛ يُسْتَنْتَى فيها ونية الحالف التمام<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس: فلم يَنْسَ بعد نزول هذه الآية حتى مات، إلا ما شاء الله. وعن سعيد عن قتادة، قال: كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً، إلا ما شاء الله<sup>(٣)</sup>. وعلى هذه الأقوال قيل: إلا ما شاء الله أن يَنْسَى، ولكنه لم يَنْسَ شيئاً منه بعد نزول هذه الآية.

وقيل: إلا ما شاء الله أن يَنْسَى، ثم يَذْكُر بعد ذلك، فإذا قد نسي، ولكنه يتذكر ولا ينسى نسياناً كلياً. وقد روي أنه أسْقَطَ آية في قراءته في الصلاة، فحسبَ أبي أنها نُسِخَتْ، فسأله فقال: «نُسِيَتْهَا»<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هو من النسيان، أي: إلا ما شاء الله أن يُنْسِيكَ. ثم قيل: هذا بمعنى النسخ، أي: إلا ما شاء الله أن يَنْسَخَهُ. والإنساء<sup>(٥)</sup> نوع من النَّسْخ. وقيل: النسيان بمعنى التَّرك، أي: يَعْصِمُكَ مِنْ أَنْ تَتْرَكَ العملَ به، إلا ما شاء الله أن تتركه لِنَسْخِهِ إياه. فهذا في نَسْخِ العملِ، والأوَّلُ في نَسْخِ القراءة.

(١) تفسير البغوي ٤/٤٧٦.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/٢٥٦.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/٣١٥.

(٤) أخرجه أحمد (١٥٣٦٥)، والبخاري في القراءة خلف الإمام (١٩٣)، والنسائي في الكبرى (٨١٨٣).

(٥) في النسخ: والاستثناء، والمثبت من الوسيط ٤/٤٧٠، وتفسير البغوي ٤/٤٧٦.

قال الفرغاني<sup>(١)</sup>: كان يَعْنَى مجلسَ الجنيد أهلَ البَسْطِ من العلوم، وكان يغشاه ابنُ كَيْسَانَ النحويُّ، وكان رجلاً جليلاً، فقال يوماً: ما تقولُ يا أبا القاسم في قوله تعالى: ﴿سُنُقْرِيكَ فَلَا تَنْسَى﴾؟ فأجابه مسرعاً - كأنه تقدّم له السؤالُ قبل ذلك بأوقاتٍ -: لا تَنْسَى العملَ به. فقال ابن كيسان: لا يَفْضُضُ اللهُ فَاكَ مِثْلَكَ مَنْ يُضَدِّرُ عن رأيه<sup>(٢)</sup>. وقوله: «فلا»: للنفي لا للنهي. وقيل: للنهي، وإنما أثبتت الياء لأنَّ رؤوسَ الآيِ على ذلك<sup>(٣)</sup>. والمعنى: لا تَغْفَلُ عن قراءته وتكراره فتنسَاهُ، إلا ما شاء الله أن يُنْسِيكَه برفع تلاوته للمصلحة<sup>(٤)</sup>. والأوّل هو المختار؛ لأنَّ الاستثناء من النهي لا يكاد يكون إلا مؤقتاً معلوماً. وأيضاً فإنَّ الياء مُثَبِّتَةٌ في جميع المصاحف، وعليها القراء.

وقيل: معناه: إلا ما شاء الله أن يؤخّر إنزاله. وقيل: المعنى: فجعله غثاءً أخوياً إلا ما شاء الله أن يناله بنو آدمَ والبهائمُ، فإنّه لا يصير كذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ أي: الإعلانَ من القول والعمل. ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ من السرِّ. وعن ابن عباس: ما في قلبك ونفسك. وقال محمد بن حاتم<sup>(٥)</sup>: يعلم إعلانَ الصدقة وإخفاءها. وقيل: الجهرُ ما حَفِظْتَهُ من القرآن في صدرك، «وما يَخْفَى» هو ما نُسِخَ من صدرك<sup>(٦)</sup>.

﴿وَيُنْسِرُكَ﴾: معطوفٌ على «سُنُقْرِيكَ»، وقوله: «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى»

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عباد، ولقبه حمدون وهو الغالب عليه، توفي سنة (٢٧٠هـ). تاريخ بغداد ٢٧١/٤ و١٧٧/٨.

(٢) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٢٤٦/٧ عن جعفر بن محمد الخلدي قال: حضرت شيخنا جنيداً، وسأله ابن كيسان...، وذكر القصة بنحوها.

(٣) بنحوه في المحرر الوجيز ٤٦٩/٥، والكشاف ٢٤٣/٤، وتفسير الرازي ١٤٢/٣١، ويعني بالياء الألف في «تنسى»، والتي أصلها ياء.

(٤) الكشاف ٢٤٣/٤.

(٥) لعله محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ثم البغدادي السمين، الحافظ المفسّر، جمع كتاباً في تفسير القرآن، كتبه الناس عنه ببغداد. توفي سنة (٢٣٥هـ). السير ٤٥٠/١١.

(٦) النكت والعيون ٢٥٣/٦، وفيه: ... وما يخفى هو ما نسخ من حفظك.

اعتراضٌ. ومعنى ﴿لِلْيُسْرَى﴾ أي: للطريقة اليسرى؛ وهي عملُ الخير. قال ابن عباس: نيسركَ لأنَّ تعملَ خيراً. ابن مسعود: «لِلْيُسْرَى» أي: للجنة. وقيل: نوقُفُكَ للشريعة اليسرى؛ وهي الحنيفية السَّمْحَةُ السَّهْلَةُ؛ قال معناه الضحَّاك. وقيل: أي: نهوُّكَ عليك الوحي حتى تحفظه وتعملَ به<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فِعْظُ قَوْمِكَ يا محمدُ بالقرآن. ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أي: الموعظة. وروى يونس عن الحسن قال: تذكرةٌ للمؤمن، وحنةٌ على الكافر. وكان<sup>(٢)</sup> ابن عباس يقول: تنفع أوليائي، ولا تنفع أعدائي.

وقال الجرجاني: التذكير واجبٌ وإن لم ينفع، والمعنى: فذكّر إن نفعت الذكرى، أو لم تنفع، فحذف، كما قال: ﴿سَرِيلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]<sup>(٣)</sup>. وقيل: إنه مخصوصٌ بأقوامٍ بأعيانهم. وقيل: «إِنْ» بمعنى ما، أي: فذكّر ما نفعتِ الذكرى، فتكون «إِنْ» بمعنى ما، لا بمعنى الشرط؛ لأنَّ الذكرى نافعةٌ بكلِّ حال؛ قاله ابن شجرة.

وذكر بعضُ أهل العربية: أنَّ «إِنْ» بمعنى إذ، أي: إذ نفعت، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلَعَلَّوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] أي: إذ كنتم، فلم يُخبر بعلوهم إلا بعد إيمانهم. وقيل: بمعنى قد.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ﴿١٠﴾

أي: مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَخَافُهُ. فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلت في ابن أمّ

(١) تنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٦/٢٥٤، وتفسير البغوي ٤/٤٧٦.

(٢) في (د): وقال.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/٢٠٦، والوسيط ٤/٤٧٠.

مكتوم<sup>(١)</sup>. الماوردی<sup>(٢)</sup>: وقد يذکرُ من يرجوه، إلا أن تذكیرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي، فلذلك علّقها بالخشية دون الرجاء، وإن تعلّقت بالخشية والرجاء. وقيل: أي: عمّم أنت التذكير والوعظ، وإن كان الوعظ إنما ينفع من يخشى، ولكن يحصل لك ثواب الدعاء؛ حكاها القشيري.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْجِبَهَا الْأَشْفَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَنْجِبَهَا﴾ أي: ويتجنّب الذكرى ويبعد عنها ﴿الْأَشْفَى﴾ أي: الشقي في علم الله. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة<sup>(٣)</sup>. ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي: العظمى، وهي السفلى من أطباق النار؛ قاله الفراء<sup>(٤)</sup>. وعن الحسن: الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا. وقاله يحيى بن سلام<sup>(٥)</sup>.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يموت فيستريح من العذاب، ولا يحيا حياة تنفعه، كما قال الشاعر:

ألا ما لنفس لا تموت فينقضني عنها ولا تحيا حياة لها طعم<sup>(٦)</sup>

وقد مضى في «النساء» وغيرها حديث أبي سعيد الخدري، وأن الموحدين من

(١) ذكره الرازي ١٤٦/٣١ دون نسبة.

(٢) في النكت والعيون ٢٥٤/٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٠٦/٥.

(٤) في معاني القرآن ٢٥٦/٣.

(٥) تفسير الرازي ١٤٩/٣١ عن الحسن، والنكت والعيون ٢٥٤/٦ عن يحيى بن سلام.

(٦) البيت لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، كما في مجالس ثعلب ص ٢٣٦، والأغاني ١٥٠/٩، ومصارع العشاق ١/٣٢١، ووقع في هذه المصادر: ألا من لنفسي...، والبيت برواية المصنف في اللسان (طعم).

المذنبين<sup>(١)</sup> إذا دخلوا جهنم - وهي النار الصغرى على قول الفراء - احترقوا فيها وماتوا؛ إلى أن يُشفع فيهم. خرَّجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: أهل الشقاء متفاوتون في شقائهم، وهذا الوعيد للأشقى، وإن كان ثم شقي لا يبلغ هذه المرتبة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ١٥

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: قد صادف البقاء في الجنة، أي: من تَطَهَّر من الشرك بالإيمان؛ قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة<sup>(٣)</sup>. وقال الحسن والربيع: من كان عمله زاكياً نامياً<sup>(٤)</sup>. وقال معمر عن قتادة: «تَزَكَّى»، قال: بعملٍ صالح<sup>(٥)</sup>.

وعنه وعن عطاء وأبي العالية: نزلت في صدقة الفِطْرِ. وعن ابن سيرين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى قال: خرج فصلّى بعد ما أدّى. وقال عكرمة: كان الرجل يقول: أقدم زكاتي بين يديّ صلاتي. فقال سفيان: قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى. وروي عن أبي سعيد الخُدريّ وابن عمر: أن ذلك في صدقة الفطر، وصلاة العيد<sup>(٦)</sup>. وكذلك قال أبو العالية، وقال: إن أهل المدينة لا يَرُونَ

(١) في (م): المؤمنين.

(٢) في صحيحه (١٨٥)، وسلف ٩٢/٦.

(٣) تفسير الطبري ٣١٩/٢٤، وتفسير البغوي ٤٧٦/٤.

(٤) النكت والعيون ٢٥٥/٦، وأخرجه عن الحسن الطبري ٣١٩/٢٤.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٣٦٧/٢.

(٦) تنظر أقوالهم في الوسيط ٤٧١-٤٧٢، وتفسير البغوي ٤٧٦-٤٧٧، وأحكام القرآن لابن العربي

١٩٠٨/٤، والمححر الوجيز ٤٧٠/٥، والدر المنثور ٣٤٠/٦.

صدقة أفضلَ منها، ومن سقاية الماء<sup>(١)</sup>.

وروى كثير بن عبد الله عن أبيه، عن جدّه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ قال: «أخرج زكاة الفطر»، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ قال: «صلاة العيد»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس والضحاك: «وذكر اسم ربّه» في طريق المصلّي، «فصلّى» صلاة العيد<sup>(٣)</sup>.

وقيل: المراد بالآية زكاة الأموال كلّها؛ قاله أبو الأحوص وعطاء<sup>(٤)</sup>. وروى ابن جرّيج قال: قلت لعطاء: «قد أفلح من تزكّى» للفطر؟ قال: هي للصدقات كلّها<sup>(٥)</sup>.

وقيل: هي زكاة الأعمال، لا زكاة الأموال، أي: تطهّر في أعماله من الرياء والتقصير؛ لأنّ الأكثر أن يقال في المال: زكّي، لا تزكّي. وروى جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: من شهد أن لا إله إلا الله، وخلّع الأنداد، وشهد أنّي رسول الله<sup>(٦)</sup>. وعن ابن عباس: «تزكّي»، قال: لا إله إلا الله<sup>(٧)</sup>.

وروى عنه عطاء قال: نزلت في عثمان بن عفان ؓ. قال: كان بالمدينة منافقاً كانت له نخلة مائلة في دار رجل من الأنصار، إذا هبّت الرياح أسقطت البُسْرَ والرُّطْبَ

(١) أخرجه الطبري ٣٢٠/٢٤ مطولاً.

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٤٢٠)، والبخاري (٣٣٨٣)، وابن عدي ٦/٢٠٨٠، والواحدي في الوسيط ٤/٤٧١. وكثير بن عبد الله، قال عنه الحافظ في مختصر زوائد مسند البزار ٣٩٨/١: ضعيف جداً.

(٣) الكشاف ٤/٢٤٥ عن الضحاك.

(٤) زاد المسير ٩/٢٢ عن أبي الأحوص، وسيأتي عن عطاء، وأخرجه عن أبي الأحوص بنحوه الطبري ٣٢٠-٣١٩/٢٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/٣٤٠، وفيه أن السائل هو عطاء والمسؤول ابن عباس.

(٦) أخرجه البزار (٢٢٨٤-كشف) والواحدي في الوسيط ٤/٤٧١، وفي إسناده عباد بن أحمد العرزمي، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٣٧: متروك.

(٧) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٥)، وهو عند الطبري ٣١٩/٢٤ بلفظ: تزكّي من الشرك.

إلى دار الأنصاري، يأكل هو وعياله، فخاصمه المنافق، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه، فقال: «إن أخاك الأنصاري ذكر أن بسرك ورطبك يقع إلى منزله، يأكل هو وعياله، فهل لك أن أعطيك نخلة في الجنة بدلها؟» فقال: أبيع عاجلاً بأجل! لا أفعل. فذكروا أن عثمان بن عفان أعطاه حائطاً من نخل بدل نخلته، ففيه نزلت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾. ونزلت في المنافق ﴿وَيَجْنِبِهَا الْأَشْقَى﴾<sup>(١)</sup>.

وذكر الضحاك: أنها نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ<sup>(٢)</sup>.

الثانية: قد ذكرنا القول في زكاة الفطر في سورة البقرة مستوفى<sup>(٣)</sup>. وقد تقدم أن هذه السورة مكية، في قول الجمهور، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر. القشيري: ولا يبعد أن يكون أثنى على من يمثل أمره في صدقة الفطر وصلاة العيد، فيما يأمر به في المستقبل.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي: ذكر ربه. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد ذكر معاده وموقفه بين يدي الله جل ثناؤه، فعبدته وصلّى له<sup>(٤)</sup>.

وقيل: ذكر اسم ربه بالتكبير في أول الصلاة؛ لأنها لا تنعقد إلا بذكره، وهو قوله: الله أكبر، وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح، وعلى أنها ليست من الصلاة؛ لأن الصلاة معطوفة عليها. وفيه حجة لمن قال: إن الافتتاح جائز بكل اسم من أسماء الله عز وجل<sup>(٥)</sup>. وهذه مسألة خلافية بين الفقهاء. وقد مضى القول في هذا في أول سورة البقرة<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره البغوي ٤/٤٩٥ عن عطاء في سبب نزول سورة الليل، وفيه: أبو الدحداح، بدل: عثمان. وأخرجه بنحوه مطولاً عن ابن عباس الراحدي في أسباب النزول ص ٤٨٥ في سبب نزول سورة الليل أيضاً.

(٢) النكت والعيون ٦/٢٥٥.

(٣) ينظر ما سلف ٢/٢٤ و ٤/٣٦٨.

(٤) الكشاف ٤/٢٤٥.

(٥) الكشاف ٤/٢٤٥، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٠٩-١٩١٠.

(٦) ١/٢٦٩.

وقيل: هي تكبيرات العيد؛ قال الضحاك: «وذكر اسم ربّه» في طريق المصلّي، «فصلّي»، أي: صلاة العيد<sup>(١)</sup>.

وقيل «وذكر اسم ربّه» هو أن يذكره بقلبه عند صلاته، فيخاف عقابه، ويرجو ثوابه؛ ليكون استيفاؤه لها، وخشوعه فيها، بحسب خوفه ورجائه<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو أن يفتح أول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم<sup>(٣)</sup>. «فصلّي» أي: فصلّي وذكر. ولا فرق بين أن تقول: أكرمتني فزرتني، وبين أن تقول: زرتني فأكرمتني. قال ابن عباس: هذا في الصلاة المفروضة، وهي الصلوات الخمس<sup>(٤)</sup>.  
وقيل: الدعاء، أي: دعاء الله بحوائج الدنيا والآخرة. وقيل: صلاة العيد؛ قاله أبو سعيد الخدري وابن عمر وغيرهما. وقد تقدّم<sup>(٥)</sup>.

وقيل: هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاته؛ قاله أبو الأحوص<sup>(٦)</sup>، وهو مقتضى قول عطاء. ورؤي عن عبد الله قال: من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

قراءة العامة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء، تصديقه قراءة أبي: «بل أنتم تؤثرون»<sup>(٨)</sup>. وقرأ أبو عمرو ونصر بن عاصم: «بل يؤثرون» بالياء على الغيبة<sup>(٩)</sup>، تقديره: بل يؤثرون

(١) الكشاف ٤/٢٤٥، وسلف في المسألة الأولى.

(٢) النكت والعيون ٦/٢٥٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/٣٢١.

(٥) في المسألة الأولى.

(٦) النكت والعيون ٦/٢٥٥، وأخرجه الطبري ٢٤/٣١٩-٣٢٠.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٧٤).

(٨) معاني القرآن للفراء ٣/٢٥٧، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٧٢ عن ابن مسعود.

(٩) السبعة ص ٦٨٠، والتيسير ص ٢٢١ عن أبي عمرو.

الْأَشْقَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>. وعلى الأول فيكون تأويلها: بل تُؤثرون أيها المسلمون الاستكثارَ من الدنيا على الاستكثار<sup>(٢)</sup> من الثواب.

وعن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية، فقال: أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ لأن الدنيا حَضَرَتْ وَعُجِّلَتْ لَنَا طِبَابُهَا، وَطَعَامُهَا وَشَرَابُهَا، وَلذَاتُهَا وَبَهْجَتُهَا، وَالْآخِرَةُ عُيِّبَتْ عَنَّا. فَأَحْذَنَّا الْعَاجِلَ، وَتَرَكْنَا الْآجِلَ<sup>(٣)</sup>.

وروى ثابتٌ عن أنسٍ قال: كُنَّا مَعَ أَبِي مُوسَى فِي مَسِيرٍ، وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ وَيَذْكُرُونَ الدُّنْيَا. قَالَ أَبُو مُوسَى: يَا أُنْسُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَكَادُ أَحَدُهُمْ يَفْرِي الْأَدِيمَ بِلِسَانِهِ فَرِيًّا، فَتَعَالِ فَلْنَذْكُرْ رَبَّنَا سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: يَا أُنْسُ، مَا ثَبَرَ النَّاسُ! مَا بَطَأَ بِهِمْ؟ قُلْتُ: الدُّنْيَا وَالشَّيْطَانُ وَالشَّهَوَاتُ. قَالَ: لَا، وَلَكِنْ عُجِّلَتِ الدُّنْيَا، وَعُيِّبَتِ الْآخِرَةُ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَايَنُوهَا مَا عَدَلُوا وَلَا مَيَّلُوا<sup>(٤)</sup>.

### قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿١٧﴾

أي: والدارُ الآخرةُ، أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضلُ ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أَدْوَمُ من الدنيا. وقال النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه في اليمِّ، فليَنْظُرْ بِمَ يَرِجَعُ» صحيح. وقد تقدم<sup>(٥)</sup>. وقال مالك بن دينارٍ: لو كانت الدنيا من ذهبٍ يَفْنَى، وَالْآخِرَةُ من خَزْفٍ يَبْقَى، لكان الواجبُ أَنْ يُؤَثَّرَ خَزْفٌ يَبْقَى على ذهبٍ يَفْنَى.

(١) يعني أنه مردود على الأشقى في قوله تعالى: ﴿وَيَنْجَنِيَّ الْأَشْقَى﴾.

(٢) في النسخ: للاستكثار، بدل: على الاستكثار، والمثبت من اللباب ٢٠/٢٨٦.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/٣٢٢، والطبراني في الكبير (٩١٤٧). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/٣٨٦، وأحمد في الزهد ص ٢٤٧، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٥٩.

قوله: يفري الأديم، الفري: الشق، والأديم: الجلد. القاموس (أدم) و(فري).

وقوله: ما ثبر الناس، أي: مالذي صدَّهم ومنعهم. قوله: ما عدلوا، أي: ما ساووا بها شيئاً. ولا ميَّلوا، أي: ما شكَّوا ولا تردَّوا. النهاية (ثبر) و(ميل).

(٥) ٥/٤٨١، وهو في صحيح مسلم (٢٨٥٨).

قال: فكيف والآخرة من ذهبٍ يبقى، والدنيا من خزفٍ يفنى!

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ قال قتادة وابن زيد: يريد قوله: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ وقالوا: تتابعت كتبُ الله جلَّ ثناؤه - كما تسمعون - أنَّ الآخرة خيرٌ وأبقى من الدنيا<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ قال: كُتِبَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كُلِّهَا<sup>(٢)</sup>.

الكلبي: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾: من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى آخر السورة<sup>(٣)</sup>؛ لحديث أبي ذرٍّ على ما يأتي.

وروى عكرمة عن ابن عباس: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ قال: هذه السورة<sup>(٤)</sup>.

وقال الضحاك: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ<sup>(٥)</sup>، أي: الكتبِ الأولى.

﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ يعني الكتبَ المنزلةَ عليهما. ولم يُرَدَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ بَعِينَهَا فِي تِلْكَ الصُّحُفِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمَعْنَى، أَي: إِنَّ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ وَارِدٌ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ. وَرَوَى الْأَجْرِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: «كَانَتْ أَمْثَالاً كُلِّهَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَتَسَلِّطُ الْمُتَبَتَّلِيُّ الْمَغْرُورُ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لَتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنْ بَعَثْتُكَ لَتَرَدَّ عَنِّي دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فِمْ كَافِرٍ. وَكَانَ فِيهَا أَمْثَالٌ: وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، يَفَكِّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

(١) أخرجه قولهما الطبري ٢٤/٣٢٤-٣٢٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/٣٤١.

(٣) ذكره الطبري ٢٤/٣٢٥ واختاره.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٦٠٤)، وسعيد بن منصور، كما في الدر المنثور ٦/٣٤١.

(٥) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٤/١٩١٠ وقال: قول ضعيف؛ لأنه باطل قطعاً.

إليه، وساعةً يخلو فيها لحاجته من المَطْعَمِ والمَشْرَبِ. وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً  
 إلا في ثلاث: تزوُّدٌ لمَعَادٍ، ومَرَمَةٌ لمَعَاشٍ، ولذَّةٌ في غير محَرَّمٍ. وعلى العاقل أن  
 يكون بصيراً بزمانه، مُقْبِلاً على شأنه، حافظاً للسانهِ. ومَنْ عَدَّ<sup>(١)</sup> كلامه من عمله قلَّ  
 كلامه إلا فيما يعنيه». قال: قلتُ: يا رسول الله، فما كانت صحفُ موسى؟ قال:  
 «كانت عبراً كلُّها: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بالموت كيف يفرح! وعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بالقَدَرِ  
 كيف ينصب! وعَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدنيا وتقلَّبَها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها! وعَجِبْتُ لِمَنْ  
 أَيْقَنَ بالحساب غداً ثم هو لا يعمل!» قال: قلتُ: يا رسول الله، فهل في أيدينا شيءٌ  
 ممَّا كان في يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ وموسى، مما أنزل الله عليك؟ قال: «نعم، اقرأ يا أبا ذر:  
 ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ  
 هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾. وذكر الحديث<sup>(٢)</sup>.

(١) في المصادر: ومن حسب.

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٦١) مطولاً، وفي إسناده إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال عنه أبو حاتم:  
 كذاب، كما في الجرح والتعديل ١٤٢/٢-١٤٣. وأخرجه ابن عدي ٢٦٩٩/٧، وابن عساكر في  
 تاريخه ٢٣/٢٧٨ بإسناد آخر عن أبي ذر، وفيه يحيى بن سعد السعدي عن ابن جريج، قال ابن عدي:  
 هذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج، ويحيى بن سعد هذا يعرف بهذا الحديث.